وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الجبل الغربي

كلية الآداب والعلوم مزدة

بحث بعنوان : التجديد في فكر الإمام محمد بن علي السنوسي

مشاركة من : الدكتور يوسف موسى على عبدالله أبوعليقة

الدكتور عبد الرحمن بن محمود

في المؤتمر القرآني الدولي السنوي (مقدس :4) الذي يقام
بمركز بحوث القرآن بجامعة ملايا في ماليزيا

14-15 /4/ 2014م

14-15 جمادى الاخرة 1435هـ

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، حمداً يليق بجلاله وكماله ؛ حمداً كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه، حمداً يوازي رحمته وعفوه وكرمه ونِعَمِه العظيمة؛ حمداً على قدر حبه لعباده المؤمنين.
والصلاة والسلام على أكمل خلقه ،وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين؛ وبعد.

لا شك أن التجديد الذي نعنيه هنا إحياء ما أندرس من العلم النافع في العلوم الشرعية، وإحياء العمل به في الأمة الاسلامية. وبالتالي فالتجديد لابد أن يضبط بضوابط حتى لا يصبح دعوي يدعيها من يريد الإفساد أو الانحراف بأبناء الأمة نحو الهاوية.

إذن التجديد لابد أن يقوم به صاحب إرادة قوية في التغيير فاعلة وثابة على الحق، ينطلق بأبناء الأمة من واقعهم المرفوض المنحرف نحو طريق الصلاح والنجاح، من خلال إحياء الحركة العلمية التي تهدف إلى دراسة القضايا الشرعية كلها دراسة مبنية على الدليل الشرعي الصحيح بعيداً عن عصبية المذاهب والتيارات المنحرفة. سالكاً في ذلك المناهج السليمة لفهم نصوص الدين والسنة النبوية المطهرة، معتمداً في تلقي معانيها من الشروح التي قدمها علماء وفقهاء المدرسة الفكرية السنية.

وهدفه من ذلك جعل أحكام الدين نافذة قوية تهيمن على جميع أوجه الحياة الفكرية، والسياسية، والاجتماعية، وتنقية عقيدة أبناء الامة الإسلامية مما علق بها من آراء دخيلة وبدع غريبة عن الاسلام، وإعادتها إلى ما كان عليه في عهد السلف صافية نقية الضوابط والمعايير، وذلك من خلال وضع الحلول الجدية لكل طارئ، وتشريع الأحكام لكل حادث، والتمييز بين ما هو من الدين وما هو بدعٍ يلتبس به، وتنقية الدين من جميع الانحرافات الناتجة من عوامل داخلية، خارجية.

وهذا لا يعني إضافة شيء جديد إلى العقيدة وإنما هو تخليص العقيدة مما علق بها من الإضافات البشرية لتصبح نقية صافية، نابعة من صدق الإيمان وصفاء القلوب. رافضة الخلافات الجوهرية التي تعيش اليوم بين ابناء المسلمين وعلمائه وذلك لأسباب: إما الجهل بحكم الله ورسوله صلى الله عليه وسلم في بعض المسائل، أو لضعف الإيمان وضعف الإرادة بحيث تغلب على الإنسان شهوته أو تغلب ظروفه فيقع في المحضور.

وما الحركة السنوسية إلا إحدى تلك الحركات الدينية التجديدية الاصلاحية التي ظهرت كرد فعل للتدهور الذي أصاب العالم الإسلامي، وتأخره دينيًّا وسياسيًّا واجتماعيًّا، فأنشأت حركة التجديد على يد الإمام السيد محمد بن علي السنوسي.

والجدير بالدكر ان هذه الحركة التجديدية الإسلامية ظهرت في ليبيا، وأول من عرفت باسمه هو الإمام السيد محمد بن علي السنوسي 1202هـ . 1276هـ (1787 . 1859م) وهو المؤسس الحقيقي للدعوة، وتنسب السنوسية لجده الرابع. صاحب العقائد السنوسية في التوحيد.

ونظراً لان المفكر والمصلح ابن بيئته فمن الواجب علينا دراسة البيئة التي عاش فيها هذا الفكر وتأثر بها وتأثرت به ، فالبيئة أساس من أسس التفكير في مسار معين من مسارات التفكير، فالبيئة تترك في مراحل معينة أثرها على المفكر أو المصلح في اتخاذ موقف معين ما كان له أن يتخذه لولا ما غلب على بيئته من ظروف ومؤثرات، ففي البيئة الإسلامية في ليبيا حيث البداوة والبساطة ومعها قوة الضمير وصدق الحس ونقاء العقل

وكان الإمام محمد بن علي السنوسي يتلقى أصحابه الذين شاركوه حركة الإصلاح في البلاد التي حل بها، وأدركت عقولهم مقاصد الدين وأهدافه ، وفهموا أسراره ومراميه، في صفا جو الفكر الإسلامي من التعقيدات والشبهات .حيث انشأ الإمام مع اصحابه الحركة السنوسية التي عمت مراكزها الدينية شمالي أفريقيا والسودان والصومال، وبعض البلاد الإسلامية؛ لم يكن ليدعي انه اختلق فكراً جديداً أو طرح أيديولوجية أو عقيدة جديدة، بل هو نفض الغبار عن شيء بالٍ هو الأحكام الإسلامية، لا من حيث هي هي، بل من حيث حضورها وتجسدها وتداولها بين الفقهاء، والسياسيين والناس عموماً، وهو استخرج ما كان محجوراً عليه من أحكام ونظريات وأفكار في بطون الكتب ورفوف المكتبات، ليعيده إلى طاولة الدَّرس والبحث ثم إلى عقول الرأي العام، وليصل فيه إلى التجسيد العملي عبر إقامة حكم اسلامي يعتمد النص المقدس والتفسير المتجدد والتحديث في الأسلوب والخطاب.

وإن هذا الجهد المتواضع يزيل اللثام عن شخصية علمية دعوية تجديدية كان لها أثر ولازال في ليبيا خصوصاً وإفريقيا عموماً.

المبحث الأول:

الإمام محمد بن علي السنوسي(اسمه ونسبه وشيوخه)

هو الإمام المجتهد الولي الصالح والداعية محمد بن علي بن السنوسي بن العربي بن محمد بن عبد القادر بن شهيدة بن حم بن القطب الشهير السيد يوسف بن القطب السيد عبد الله بن خطاب بن علي بن يحيى بن راشد بن أحمد المرابط بن منداس بن عبد القوي بن عبد الرحمن بن يوسف بن زيّان بن زين العابدين بن يوسف بن حسن بن إدريس بن سعيد بن يعقوب بن داود بن حمزة بن علي بن عمران بن إدريس الأصغر بن إدريس الأكبر بن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن سيدنا علي بن أبي طالب.[1] وهذا يدل على انه ينتمي إلى السلالة الطاهرة والنسب الطيب الشريف.

وتتفق اغلب المصادر التي تحدثت عن الحركة السنوسية في يوم مولد الإمام السنوسي ، الذي يوافق يوم ذكرى مولد النبي صلى الله عليه وسلم ؛ حيث تشير المصادر الى انه ولد، "صبيحة يوم الاثنين العاشر من ربيع الاول عند طلوع الفجر ولذلك سماه والده محمداً تيمناً باسم النبي صلى الله عليه وسلم –الموافق لـ 22/ 12/ 1798 م – وكانت ولادته في ضاحية (مَيْثاً) الواقعة في ضفة شِلْف بمنطقة الواسطة التابعة لبلدة تسمى (مستغانم)من الجزائر".[2]

شـــــــيوخه :

بعد وفاة والد الامام السنوسي بعامين، ربته عمته فاطمة* حيث كانت من فضيلات أهل زمانها، ومتبحرة في العلوم ومنقطعة للتدريس والوعظ يحضر دروسها الرجال.[3] وقد اهتمت السيدة فاطمة بابن أخيها الذي أظهر حباً عظيماً لتحصيل العلوم. فاخذ يطلب العلوم من شيوخ مستغانم و غيرها من البلاد المجاورة لها مع تعهد عمته له.

ومن أشهر شيوخ الإمام السنوسي: الذين أخذ عنهم القرآن الكريم مع القراءات السبع: محمد بن قعمش الطهراوي زوج عمته، و ابنه عبد القادر وكانا عالمين جليلين صالحين وابن عمه الشيخ محمد السنوسي الذي تولاه بعد وفاة عمته في 1209هـ وعمره لا يتجاوز السابعة. وأتم على ابن عمه حفظ

1– الدرر السنية في أخبار السلالة الإدريسية، الإمام محمد بن علي السنوسي، ضمن المجموعة المختارة للإمام السنوسي، طبع في منشستر ببريطانيا1990م، ص7 . الحركة السنوسية في ليبيا، (الإمام محمد السنوسي و منهجه في التأسيس التعليمي و الحركي و التربوي والدعوي والسياسي)،علي محمد محمد الصلابي، ج1،الطبعة الأولى دار البيادق ،بيروت،1999م .، ص23

[2] – الفوائد الجلية في تاريخ العائلة السنوسية الحاكمة بليبيا، عبد المالك بن عبد القادر بن علي، ج1، د ط، مطبعة دار الجزائر العربية دمشق. الحركة السنوسية في ليبيا الصلابي ،1999م ، ص23

* فاطمة بن على السنوسي توفيت بالطاعون في عام 1209 هـ.

[3] – السنوسية دين ودولة ،محمد فؤاد شكري، دار الفكر، بيروت1948م، ص11– الحركة السنوسية في ليبيا الصلابي ،1999م،ص24

القران الكريم برواياته السبع. مع علم رسم الخط للمصحف و الضبط، وقرأ عليه الرسالات الآتية: مور الضمان المصباح العقيلة; الندى; الجزرية; الهداية المرضية في القراءة المكية; حرز الأماني للشاطبي; و غيرها مما هو من وظائف قارئ القرءان الكريم.[1]

وبعد أن أتم حفظ لقرآن الكريم وإتقانه شرع ابن عمه الشيخ محمد السنوسي في تعليمه العلوم العربية ثم الدينية بالتدرج وتربيته على العمل بما تعلم وكان يزوده بتراجم العلماء والقادة والفقهاء . وبعد وفاة ابن عمه أكمل تعاليمه عن شيوخ مستغانم كمحي الدين بن شلهبة، ومحمد بن أبي زوينة، وعبد القادر بن عمور، ومحمد القندوز، ومحمد بن عبد الله، واحمد الطبولي الطرابلسي. وكلهم من جهابدة العلماء في زمانهم، ومكث يطلب العلم في مستغانم سنتين كاملتين.[2]

وفي أوائل سنة 1221هـ خرج من مستغانم إلى بلدة مازونة و مكث بها سنة واحدة وتتلمذ على مجموعة من الشائخ مثل محمد بن علي بن أبي طالب، أبو رأس المعسكري وأبو المهل أبو زوينة.[3] ثم رحل إلى تلمسان وبقي بها ما يقارب سنة وتتلمذ على كبار شيوخها.[4]

وفاته :

تُجمع المصادر على أن الإمام السنوسي توفي في يوم الأربعاء التاسع من صفر سنة ست وسبعين ومائتين وألف 1276 هـ بمدينة الجغبوب بليبيا ، طيب الله ثراه .وهذا يعني أنه عاش 74 سنة ، تكللها العمل الدؤوب والحركة المستمرة ،لم توان خلالها ولم يتوقف.

---

[1] – الفوائد الجلية في تاريخ العائلة السنوسية، عبد القادر بن على، (10/1) الحركة السنوسية في ليبيا، الصلابي ،1999م ،ص24

[2] – المصدر السابق ،ص25

[3] – المصدر السابق ،ص25

[4] – المصدر السابق ،ص25

المبحث الثاني : أهم صفاته.

عاش الإمام محمد بن علي السنوسي في بيئة علمية حببت إليه العلم وفتحت عينيه على حقائقه الكثيرة، فأبوه وعدد من أجداده كانوا من الفقهاء والعلماء؛ بل إن التقاليد والأعراف التي ورثتها أسرته ساعدت في صقل شخصيته،من ذلك اهتمام الأسرة بتربية علمية عملية فيها الدراسة وفيها الفروسية. [1]

ويعد الإمام محمد بن علي السنوسي رائداً من رواد مدرسة الإصلاح الإسلامي في الشمال الأفريقي ووسطها وغربها؛ عمل على نشر الإسلام الصحيح، ومحاربة البدع، والخرافات، والشعوذة بأنواعها وأشكالها، التي لحقت به في عصورها المتأخرة في مشرقه ومغربه على حد سواء. حيث تبحر في معرفة الطرق الصوفية إلى جانب التفقه في علوم الدين، وتحصل على إجازات من علماء راسخين وأصبح مدرساً بالجامع الكبير بمدينة فاس ونال المشيخة الكبرى بها. [2] ؛وأقبل الناس عليه لما رأوا من صلاحه وتقواه وفهمه الدقيق لعلوم الشريعة، وروحه الفياضة، وعقله المتنور، وفكره الناضج.

فهو لم يغلُ في صوفيته ولم يغرق في شطحاتها كما انه لم يغل ولم يقف عند الحروف الفقهية ولم يتجمد في فهم أحكامها بل زاوج بين دراستها، فأكسب صوفيته طابع السنة ولجمها بحدود الشرع وأعطى فقهه رونقاً وروحانية متألقة بعيدة عن الجمود. ولذلك " أكثر من الموعظة الحسنة في أثناء دروسه، وجرب مع الأهلين وأصحاب الشأن في فاس طرق الإرشاد بالحسنى تارة وبالشدة أخرى، ولكن دعوته إلى العدل والخير وجمع كل المسلمين وتطهير النفوس والابتعاد عن المنكر لم تثمر ثمرتها، بل إن كل ما حدث هو تنبه حكومة السلطان مولاي سليمان إلى هذه الدعوة وتلمس الخطر من جانبها، خشية أن تنقلب الدعوة الدينية إلى أخرى سياسية، فقد تعصف بالسلطنة .. وعلى ذلك فقد شددت الحكومة في مراقبة السيد، فوجد ألا فائدة ترجى من بقائه في فاس وقرر الارتحال". [3]

---

[1] - الحركة السنوسية، نشأتها ونموها في القرن التاسع عشر، أحمد الدجاني، 1967م، الطبعة الأولى،، دار لبنان، بيروت، ص43. الحركة السنوسية في ليبيا، الصلابي ،1999م ، ص187

[2] - السنوسية دين ودولة ، شكري،1948م، ص14

[33] - المرجع السابق ، ص14.

المبحث الثالث: مؤلفاته وآثاره

1- مؤلفاته:

للإمام السنوسي رحمه الله مؤلفات كثيرة في مجالات شتى، منها المطبوع[1] ومنها،لم تطبع (المخطوطات)ولكن ورد لها ذكر في الكتب المطبوعة مما يؤكد وجودها[2]. ومنها ما ذكر اسمه ولم يعلم مكانه . وهي كثيرة جداً تبلغ 23 رسالة وكتاب.

---

[1] –كتاب : المسائل العشر المسماة: بغية المقاصد في خلاصة الراصد ، موضوعه عشر مسائل فقهية ، خالف فيها السنوسي مشهور مذهب الإمام مالك رحمه الله تعالى ، بين أدلة مأخذه في هذه المسائل ، مناقشاً ومحرراً لمشهور المذهب في هذه المسائل . مطبعة المعاهد بالقاهرة: أخر 1353هـ .وكتاب السلسبيل المعين في الطرائق الأربعين ، تكلم فيه عن سلسلة الطرق الصوفية الموجودة في وقته ، وبين طرق اتصالها إلى أصحابها . وهو بهامش الكتاب السابق. وكناب المنهل الروي الرائق في أسانيد العلم وأصول الطرائق ، بين فيه أسانيد روايته للكتب الحديثية والفقهية ، كتبه استجابة لمن سأله بيان أسانيده في السنة .الطبعة الاولى 1373هـ /1954م مطبعة حجازي القاهرة. وكتاب إيقاظ الوسنان في العمل بالحديث والقرآن ، وهو في أصول الفقه ، بين فيه وجهة نظره في الاجتهاد ، الطبعة الاولى، 1357هـ/1938م مطبعة حجازي القاهرة. وكتاب الدرر السنية في أخبار السلالة الإدريسية ، الطبعة الأولى، 1349هـ، مطبعة الشباب بالقاهرة.وكتاب المسلسلات العشرة في الأحاديث النبوية ،1357هـ، مطبعة الشباب بالقاهرة. وكتاب رسالة مقدمة موطأ الإمام مالك رضي الله عنه ، مقدمة رائقة في بيان بعض تاريخ هذا الكتاب العظيم ، وذكر بعض شروحه ومنزلته من كتب السنة . الطبعة الاولى، 1374هـ، مطبعة الشباب بالقاهرة. وكتاب شفاء الصدر بأري المسائل العشر ، وهو مختصر بغية المراصد السابق ذكره .1360، مطبعة المحمودية.أنظر: السنوسي الكبير ،محمد الطيب بن إدريس الأشهب، الطبعة الأولى ، القاهرة بدون تاريخ،ص 81 الحركة السنوسية في ليبيا، الصلابي ،1999م ، ص 201

[2] – كتاب الشموس الشارقة في أسانيد شيوخنا المغاربة والمشارقة .ورد ذكرها في (المنهل الروي)ص6 يسميه ابن السنوسي (فهرستنا الكبرى)،و ورد ذكره ايضاً في هدية العارفين تحت اسم (الشموس الشارقة في تراجم مشايخي المغاربة والمشارقة).كتاب البدور السافرة في عوالي الأسانيد الفاخرة . و رد ذكره في (المنهل الروي)ص6 وهو فهرسة صغرى منتخبة من الكبيرة. و ورد ذكره في هدية العارفين بعنوان (البدور السافرة في اختصار الشموس الشارقة).وكتاب الكواكب الدرية في أوائل الكتب الأثرية ، و رد ذكره في (المنهل)صفحة7. ورد في هدية العارفين بنفس العنوان مجرد من (ال التعريف)، وهو كتاب يتناول ذكر الكتب التي درسها ابن السنوسي، واسماء العلماء الذين أخذ عنهم. وقد ذكر مؤلفه ابوابه في كتابه(المنهل) باعتباره سار على نهجه في تأليفه . وكتاب سوابغ الأيد بمرويات أبي زيد . ورد ذكره في (المنهل) وفي بداية العارفين . وموضوعه فهارس المشايخ الذين درس عليهم ابن السنوسي. وكتاب رسالة جامعة في أقوال السنن وأفعالها .وهي منظومة توجد –كما يقول الاشهب – بمكتبة الملك . ولا يرد لها ذكر في (هداية العارفين).وكتاب هداية الوسيلة في إتباع صاحب الوسيلة . وهي منظومة توجد بمكتبة الملك . وقد وردت في (هداية العارفين). وكتاب طواعن الأسنة في طاعني أهل السنة .وكتاب رسالة شاملة في مسألتي القبض والتقليد . وهي يقول الاشهب أنها موجودة بمكتبة الملك .وكتاب رسالة السلوك . موجودة بمكتبة الملك وردت في (هداية العارفين)بعنوان (منظومة السلوك).وكتاب شذور الذهب في محض محقق النسب، موضوعه تاريخ اسلاف ابن السنوسي. أنظر: السنوسي الكبير ،محمد الطيب بن إدريس الأشهب، الطبعة الأولى ، القاهرة بدون تاريخ ،ص 81 .الحركة السنوسية في ليبيا، الصلابي ،1999م ، ص202 .

وبالتالي يكون مجموع مؤلفات الامام السنوسي أكثر من (40) مصنفاً ، في مختلف العلوم وإن كان الغالب فيها السنة والتصوف، ومما يلاحظ على أغلب كتبه التأصيل الشرعي المستمد من تراث الأمة في السير بالدعوة والحركة والفكر.

2- **الزّوايا** : استطاع الإمام محمد بن علي السنوسي أن يساهم في التربية والتعليم من خلال تأسيس الزوايا التي يدرّس فيها الفقه والعلوم الدينية الأخرى.

من أهم الزوايا التي أسسها الإمام محمد بن علي السنوسي **زاوية أبي قبيس**(بمكة المكرمة): وهي أولى الزوايا السنوسية تم تأسيسها سنة 1242هـ وكان أول شيخ لها العلامة عبد الله تواتي. ومن بين من تولى مشيختها السادة : مصطفى الغماري، حامد عامر المكاوي، على حامد ،الشارف حامد، الصادق السنوسي حامد. وتلتها في التأسيس **زاوية المدينة المنورة:** التي تم إنشائها عام 1226هـ و كان أول شيخ لها هو العلامة محمد الشفيع ومن بين من تولى مشيختها السادة :العلامة المصطفى الغماري ،ومحمد عبدالله الزوي، عبد السلام فركاش. وتلتها في التأسيس **زاوية جدة** (الحجاز).**وزاوية الطائف** (الحجاز) ثم **زاوية منى** (الحجاز) **وزاوية بدر** (الحجاز).

أما أول وازية في ليبيا فهي **زاوية البيضاء** (برقه):والتي أنشئت عام 1257هـ،وكان أول شيخ لها هو العلامة محمد بن حمد الفيلالي. ومن بين من تولى مشيختها الأعلام عمران بن بركة الفيتو ري، حسين الغرياني، محمد إبراهيم الغماري، محمد العلمي الغماري[1] .

---

[1] – وزاوية مارة (برقه): وكان أول شيخ لها هو العلامة عمر الأشهب ومن بين من تولى مشيختها : أحمد على أبوسيف، أحمد بن إدريس الاشهب، عبد الله أبو يوسف. و زاوية درنة (برقه): وكان أول شيخ لها هو العلامة عمر الأشهب ومن بين من تولى مشيختها: مفتاح خوجة، السنوسي الغرياني، عبد الرحمن العجال. وزاوية الجوف(واحة الكفرة) كان ابن السنوسي قد عهد ببنائها إلى المشايخ الحاج مصطفى أبو شايدة، الحاج محمد أبوحليقة، عقيلة الحليق، وكان أول شيخ لها هو عمر أبو حواء الفضيل ومن بين من تولى مشيختها: عبد الهادي الفضيل، محمد عمر الفضيل. وزاوية قفنطة (برقه): وكان أول شيخ لها هو المختار بن عمور وبقيت مشيختها في عقبه. وزاوية شحات (برقة)أنشيت عام 1261هـ وكان أول شيخ لها هو العلامة مصطفى الدردفي ومن بين من تولى مشيختها :محمد الدردقي، بدر فركاش، مصطفى محمد الدردقي. وزاوية العرقوب (برقة) و أول شيوخها هو محمد الجباني. وزاوية مسوس (برقة) وكان أول من تولاها بالوكالة الشيخ فهيد العاقوري، وكان أول شيخ لها احمد علي أبو سيف وفي سنة 1271هـ تولى مشيختها العلامة عمر الأشهب إلى سنة 1297هـ حيث توفاه الله فتولى مشيختها ابنه السنوسي الاشهب وبعد وفاته سنة 1332هـ تولى مشيختها ابنه محمد يحي ، وفي سنة 1367هـ تولى مشيختها محمد عثمان ابو عريقيب. وزاوية الطيلمون (برقة)كان أول شيخ لها هو العلامة مصطفى المحجوب، ثم العلامة عهلى المحجوب، فالسيد أحمد محمد المحجوب. وزاوية القصور(برقة)كان أول شيخ لها هو العلامة محمد المبخوت التواتي ثم محمد مقرب حدوث، فالشهيد اكبير عمر المختار. وزاوية المرج (برقة) كان أول شيخ لها هو أحمد بن سعد ، فالسيد علي العابدي، فالعلامة محمد السكوري، فالعلامة محمد بن عبد الله التواتي، فعمران السكوري ، فأبنه أحمد. وزاوية بنغازي (برقة) وكان أول من تولى مشيختها

هذه بعض المراكز الإصلاحية التي أنشئت في زمن الإمام محمد بن علي السنوسي في مكة وما جاورها. أما عددها بالكامل حسب ما ذكر المؤرخين: ففي برقة 45 زاوية ،و 28 في طرابلس، و21 في فزان و الكفرة ،و17 في الجزيرة العربية وتونس ،و21 في مصر ،و 14في السودان. وهكذا كان عددها حتى نهاية القرن19م، 146 زاوية؛ تتلقى من زاويتهم الرئيسة التعليمات والأوامر في كل المسائل المتعلقة بتدبير وتوسيع أمر الدعوة.

و لقد انتشرت هذه المراكز الإصلاحية والزوايا في شمال أفريقيا كلها، حيث امتدت من مصر إلى مراكش ووصلت جنوباً إلى الصحراء في السودان والصومال. ليس هذا فحسب وبل قد انتشرت الحركة السنوسية الى خارج أفريقيا حيث وصلت إلى الملايو في الشرق الأقصى.

هو عبد الله التواتي، فالعلامة عبدالرحيم بن أحمد المحجوب، وكان من تولى مشيختها السادة : محمد ابوالقاسم العيساوي ، فالسيد صالح العوامي ، فالعلامة أحمد أبوالقاسم العيساوي. وزاوية مرزق (فزان) كان أول شيخ لها هو احمد أبو القاسم التواتي. وزاوية واو (فزان) كان أول شيخ لها هو احمد أبو القاسم التواتي من تولى مشيختها بالوكالة العلامة محمد بن الشفيع ثم أسندت مشيختها إلى محمد على بن عمر الأشهب ، فأبنه نجم الدين. و زاوية زويلة (فزان) كانت تحت اشراف العلامة احمد ابوالقاسم التواتي . وزاوية هون(واحة الجفرة) كان أول من تولى مشيختها احمد بن علة بن عبيد. وزاوية مزدة(طرابلس) كان أول شيخ لها هو العلامة عبدالله السني وبقيت مشيختها في عقبه. وزاوية طبقة(طرابلس) كان أول شيخ لها هو العلامة محمد الازهري وبقيت مشيختها في عقبه.وزاوية العزيات (برقة)انشيت سنة 1270هـ وكان من بين من تولى مشيختها عمر جالو. وزاوية المخيلي(برقة) كان أول شيخ لها هو العلامة الحسين الحلافي وتعاقب ورثته على مشيختها. وزاوية تازربو(واحات الكفر) وكان من بين من تولى مشيختها العلامة محمد المدني. وزاوية ربيانه (واحات الكفرة) كان أول شيخ لها هو حسين بازامه وبقيت مشيختها في عقبه. و زاوية دريانة (برقة) كان أول شيخ لها هو العلامة إبراهيم الغماري فابنه السيد الحسين ، فالسيد محمد الحسين الغماري. وزاوية سيوه (مصر) كان أول شيخ لها هو العلامة احمد ابوالقاسم التواتي. وزاوية الزيتون(سيوه) تابعة لمشيخة احمد ابوالقاسم التواتي. وزاوية سوكنة(واحات الجفرة) . وزاوية الرحبان (طرابلس) كان أول شيخ لها هو العلامة أبو القاسم العيساوي، وبقيت مشيختها في عقبه. وزاوية الوحات البحرية(مصر) كان أول شيخ لها هو العلامة محمد السكوي. وزاوية الداخلة (مصر) و كان أول شيخ لها هو حسين الموهوب الدرسي. وزاوية حوش عيسى (مصر). وزاوية الفيوم(مصر). وزاوية غدامس(طرابلس) كان أول شيخ لها هو الشريف الغدامسي. وزاوية طلميثة (برقة) كان من بين من تولى مشيختها محمد الكليلي. وزاوية توكره (برقة) كان من بين من تولى مشيختها عبد الله الجيلاني.، وعبد الله عمر الفضيل،يونس الموهوب. وزاوية أم الركبة(برقة) كان من بين من تولى مشيختها على ابن عبد الله . وزاوية الفايدية (برقة) كان أول شيخ لها هو العلامة إسماعيل الفزاني، وبقيت مشيختها في عقبه. وزاوية ترت(برقة) كان أول شيخ لها هو عبد القادر الغزالي، وبقيت مشيختها في عقبه. وزاوية أم الرخم (مصر). وزاوية النجيلة (مصر). وزاوية الحقنة (مصر). وزاوية دفنه (برقة) كان أول شيخ لها هو العلامة حسين الغرياني وبقيت مشيختها في عقبه. وزاوية ام الرزم (برقة) كان أول شيخ لها هو المرتضى فركاش فأبنه المرتضى الثاني، فالأمين فركاش، فمحمد الأمين فركاش. وزاوية مصراته (طرابلس) كان أول شيخ لها خليفة شنيشح. وزاوية زليتن (طرابلس). زاوية زلة (طرابلس). وزاوية الجريد (تونس)كان أول شيخ لها هو العلامة محمد بن الصادق. السنوسي الكبير ، الأشهب،ص 33-38 الحركة السنوسية في ليبيا، الصلابي ،1999م ،ص138

المبحث الرابع:

نقده لأخطاء الصوفية.

تتلمذ محمد بن علي السنوسي على يد كوكبة من علماء الطرق الصوفية، واحتكّ من خلال أسفاره بكثير من مشايخها خصوصاً في المغرب العربي. حيث كان على علم واسع بأغلب الطرق، فحاول أن يتلافى قصورها التي وقعت فيها، فاستطاع من خلال خبرته العميق للطرق الصوفية وفهمه للكتاب والسنة أن يميز بين الصالح من هذه الطرق والطالح منها.حيث سار بحركته الصوفية التجديدية بمنهجية حكيمة حتى استطاعت أن تهيمن على البوادي، والواحات، والمناطق الداخلية، وأصبح ولاء تلك الأماكن لفكر الحركة السنوسية؛ بل استطاعت السنوسية بفضل القيادة الحكيمة أن تصبح حركة سياسية مؤثرة في غيرها من الطرق، ومن أشهر الطرق الصوفية في ليبيا، العروسية، العيساوية، القادرية ..."[1]

فعاب وانتقد كثيراً على الطرق التي خرجت عن اتباع الكتاب والسنة الصحيحة واهتمت بالجوانب الروحية فقط، كاستعمال الموسيقى والرقص وغيرها مما ينافي هدي الإسلام وسيرة النبي صلى الله عليه وسلم. ففي حديثه عن الطريقة الصديقية مثلاً يقول :"دخل الغلط في الأخلاق على جماعة من هذه الطائفة وذلك من قلة معرفتهم بالأحوال واتباعهم حظوظ النفس، ولكنهم لم يتأدبوا بمن يروضهم ويخرجهم من الرعونات ويجرعهم المرارات ويدلهم على المناهج الرضية في علاج عيوب النفس وطريق دوائها؛ فمثلهم كمثل من يدخل بيتاً مظلماً بلا سراج إلا من أراد الله هديته بجذب عنايته فالله هو الولي الحميد"[2].

وانتقد ابن السنوسي بعض دخلاء المتصوفة: " ... ومنها ما كثر به تبجح كثير من بعض المتنسكين، من دخلاء المتصوفة، وغلاة المتورعين، من الأعجاب بأعمالهم، والتمدح بأحوالهم، وكونهم مخصوصين بينابيع الامداد، ومواهب الكرامة، لا يبالون بمن عداهم ولو كانوا على محض الاستقامة.."[3]

وعمل ابن السنوسي على تصحيح مفاهيم الاسلام التي انحرفت بعض طرق الصوفية عنها، كالعبادة، والتوكل وغيرها.

---

[1] -المجتمع الليبي، عبد الجليل الطاهر، المكتبة العصرية صيدا، بيروت، طبعة عام 1969م ، ص325

[2] – الحركة السنوسية، نشأتها ونموها في القرن التاسع عشر، أحمد الدجاني، الطبعة الأولى، 1967م، دار لبنان،ص143

[3] – المسائل العشر، للإمام محمد بن علي السنوسي، ضمن المجموعة المختارة للإمام السنوسي، طبعت بمنستر ببريطانيا، عام 1990م على نفقة آل بن غلبون ص9.

أ- العبادة:

إن مفهوم العبادة عند السنوسية وافق تعريف ابن تيمية عندما قال: (العبادة اسم جامع لكل مايحبه الله ويرضاه: من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة، فالصلاة والزكاة والصوم والحج، وصدق الحديث وأداء الأمانة، وبر الوالدين، وصلة الأرحام، الوفاء بالعهود، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والجهاد للكفار والمنافقين، والإحسان الى الجار .... وأمثال ذلك من العبادة) [1]

ب- التوكل: كان ابن السنوسي يحب للمسلم أن يعيش من عمل يده وعرق جبينه ليغرس في نفسه حب التعفف قلما رواه عنه كبار الاخوان انه كان يقول: (الذهب في الأرض، فغوصوا لاستخراجه بالمحراث) وكان يقول: (الدرر في غرس الشجر أو تحت ورق الشجر (ويقول: (اليد العليا خير من اليد السفلى والاستقامة كنز لايبلى والعفة حسب دائم) (ومن مد يده متسولاً قصر لسانه)[2] .هذه التوجيهات تدلنا على فهم ابن السنوسي لمفهوم التوكل، فدعا الى مباشرة الاسباب مع تفويض الأمر لله تعالى، وحارب التواكل الذي انتشر في كثير من الطرق الصوفية.

ومن البدع الصوفية التي انتقدها عقيدة وحدة الوجود وأكد على إنها عقيدة إلحادية بحته ليست من الاسلام في شيء، ولا أساس لها من عقل ولا شرع ولكنها من وحي الشيطان ، فوقف ضدها بكل حزم وسار في منهجه على مذهب أهل السنة والجماعة الذي يقول بأن الله سبحانه بائن من خلقه لا يشبهه شيء من مخلوقاته متصف بصفات الكمال فله الأسماء الحسنى والصفات العلى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ الشورى: ١١

فهو المتفرد بالجلال المتصف بصفات الكمال المنزه عن النقائص والعيوب. فمن اعتقد أن الله سبحانه تعالى متحد بمخلوقاته وأن العبد عين الرب، والرب عين العبد كما يعتقد النصارى فقد كفر بما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم وخالف الفطر والشرائع. يقول الإمام ابن تيمية بعد أن ذكر كثيراً من أقوال أصحاب مذهب وحدة الوجود "يقولون: إن الوجود واحد، كما يقول ابن عربي – صاحب الفتوحات – وابن سبعين وابن الفارض والتلمساني وأمثالهم – عليهم من الله ما يستحقونه – فإنهم لا يجعلون للخالق سبحانه وجوداً مبايناً لوجود المخلوق. وهو جامع كل شر في العالم، ومبدأ ضلالهم من حيث لم يثبتوا للخالق وجوداً مبايناً لوجود المخلوق وهم يأخذون من كلام الفلاسفة شيئاً، ومن القول الفاسد من كلام المتصوفة والمتكلمين شيئاً ومن كلام القرامطة والباطنية شيئاً فيطوفون على أبواب

---

[1] – مجموع فتاوى ابن تيمية، جمع وترتيب عبد الرحمن القاسم، بيروت، ط 1390ه/1971م،10/ 150.

[2] – . برقة العربية أمس واليوم، محمد الطيب بن أحمد ادريس الأشهب، مطبعة الهواري، شارع محمد علي بمصر، ص188،187.

المذاهب ويفوزون بأخسِّ المطالب، ويثنون على ما يذكر من كلام التصوف المخلوط بالفلسفة"[1]. بل وقد حارب ابن السنوسي عقيدة الحلول ايضا التي تقول بأن الله يحل في الأشخاص تعالى الله عن قول الحلوليين علواً كبيراً. والحقيقة أن القول بالاتحاد بين الخالق والمخلوق يأباه العقل الذي سلم من الشبهات ويدل دلالة واضحة على أنها باطلة لأن أي إنسان تسمح له نفسه أن يدعي بأنه دخل به الإله وصار مع الله وحدة واحدة ولا يمكن أن يخرج مثل هذا الادعاء الباطل من إنسان له عقل سليم أو به ذرة من إيمان.

ليس هذا فحسب بل لقد وانتقد بعض الذين جعلوا من رؤوس الصوفية أو المشايخ منزلة كمنزلة الصحابة : حيث إن أهل السنة يؤكدون على إن: الصحابة هم فقط من روء الرسول صلى الله عليه وسلم وحدثوا عنه فقط ولايبلغ منزلتهم بعدهم أحد لحديث النبي صلى الله عليه وسلم " لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنْفَقَ أَحَدُكُمْ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفَهُ "[2]

أما ابن السنوسي فيرى إن ومنهم المستفتي قلبه ومنهم من يمد بالملك في سره المنير كحال أبي يزيد والسيد محمد بن موسى ومنهم المشاهد الرسول المستمد منه كل سؤال وذلك حال الشاذلي والزولي وأبي السعود والمتبولي والمرسي والسيوطي والقناوي وابي مدين والشعراني والشيخ محي الدين ونحوهم فكم أثرت عنهم في ذلك أحوال. وتواترت أقوال، وعدهم بعضهم كالشيخ محي الدين ((من الصحابة)).[3]

أما في مسألة الاجتهاد :فتؤكد بعض المصادر أن ابن السنوسي تعرض لهجوم بعض المشايخ وعلى راسهم الشيخ عليش المالكي بسبب دعوة لفتح باب الاجتهاد وهو ما أكده الشيخ محمد عبده في كتابه (الإسلام والنصرانية) أن ابن السنوسي تعرض للقتل: "ألم يسمع السامعون إن الشيخ السنوسي كتب كتاباً في أصول الفقه زاد فيه بعض المسائل على أصول المالكية وجاء في كتاب له ما يدل على دعواه أنه ممن يفهم الأحكام من الكتاب والسنة مباشرة وقد يرى ما يخالف رأي مجتهد أو مجتهدين فعلم بذلك أحد المشايخ المالكية وكان المقدم من علماء الجامع الأزهر الشريف فحمل حربة وطلب الشيخ السنوسي ليطعنه بها لأنه خرق حرمة الدين وتبع سبيل غير سبيل المؤمنين، وربما كان يجترئ الأستاذ على

---

[1] - جامع الرسائل 1 ص167

[2] – وأخرجه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي وابن ماجه

[3] – السلسبيل المعين في الطرائق الأربعين، الإمام محمد بن علي السنوسي، ضمن المجموعة المختارة للإمام السنوسي، طبعة منشستر عام 1990م،ص130.

طعن الشيخ بالحربة لو لاقاه وإنما الذي خلص السنوسي من الطعنة ونجى الشيخ المرحوم من سوء المغبة وارتكاب الجريمة باسم الشريعة هو مفارقة السنوسي للقاهرة"[1].

المبحث الخامس:

التجديد لغةً و اصطلاحا :

جاء في المعجم الوسيط التجديد كمصدر "جددّ الشيء أي صيّره جديداً " . وجاء في لسان العرب ايضا بمعنى: " الجدّة هي نقيض البلى، ويقال شيء جديد، وتجدد الشيء صار جديداً وهو نقيض الخلق، وجدّ الثوب يجِدُّ (بالكسر) صار جديداً، والجديد ما لا عهد لك به"[2].

فمفهوم التجديد إذن: الاحتفاظ بالقديم، وترميم ما بلى منه، وإدخال التحسين عليه،وهو ما يؤكد القرضاوي بقوله: " التجديد إنما يكون لشيء قديم " [3]

كلمة التجديد في القرآن الكريم :

لا شك أن تجديد الدين يعنى: إحياء وبعث ما أهمل منه، وتخليصه من البدع والمحدثات، وتنزيله على واقع الحياة ومستجداتها". فالتجديد ذو اهتمام بالدين والعودة به إلى صفائه ونقائه ، ومحاولة تطبيقه على مجتمعنا الحديث بنظرات اجتهادية وابتكارية تعتمد أصول الدين وتقوم عليها . ونسأل هل ورد ذكر هذا المصطلح فى القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة ؟.

لم ترد في القرآن الكريم لفظة التجديد، وإنما ورد لفظة جديد بمعنى الإحياء والإعادة لما كان موجوداً، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا﴾ الإسراء49.

يتضح من هذه الآية أن تجديد الخلق هو بعثه وإحياؤه وإعادته .

﴿وَقَالُوا أَإِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ بَلْ هُم بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَافِرُونَ﴾ السجدة: ١٠.

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ سبإ: ٧

وقوله تعالى ﴿أَفَعَيِينَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ ق: ١٥

---

[1] – الإسلام في القرن العشرين، حاضره ومستقبله، عباس محمود العقاد،ط2، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان 1969م،ص130 . علي محمد محمد الصلابي ،2001 م ، الثمار الزكية للحركة السنوسية في ليبيا ،علي محمد محمد الصلابي، ،ط1، مكتبة الصحابة، الشارقة الإمارات، مكتبة التابعين، القاهرة ،2001 م.ص؟

[2] – لسان العرب، ابن منظور . طبعة دار المعارف، مصر، ج1، ص562 . 563. المعجم الوسيط، ، مادة (جدد).

[3] – الفقه الإسلامي بين الأصالة والتجديد، يوسف القرضاوي، دار الصحوة للنشر، ط 1، 1406 هـ. ص 27.

والخلق الجديد هنا يدل على البعث والإحياء والإعادة والتجديد أيضا

كلمة التجديد في السنة:

لقد اشتملت بعض الأحاديث الصحيحة على مصطلح التجديد، الذي يعني الإحياء والإعادة نذكر من هذه الحديث أدلها على المقصود، وأشملها لبيان المراد وأوسعها لجوانب التجديد هو حديث أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم: "إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها" [1]؛ فيستنتج من هذا الحديث أن هذه الأمة ستنحرف أحيانا عن بعض معالم السنن الصحيحة وستغير مجراها وأن الله سبحانه وتعالى تعهد بحفظ كتابه العزيز كما تعهد هذه الأمة بعنايته وسيبعث لها من يجدد لها أمور دينها كل عصر. وبالتالي فالتجديد سيستمر بانتظام: على رأس كل مائة سنة، كما ورد في الحديث السابق.

خلاصة القول يمكن إجمال مفهوم التجديد لغة وشرعاً بإنه يعنى: إعادة الخلق البالى(نقيض البالي)، بعد أن تقادم به العهد أو إعادة ترميم الشيء البالي وليس خلق شيء لم يكن موجوداً . وبهذا المعنى فإن التجديد في مجال الفكر أو في مجال الأشياء على السواء كما يشير برهان غليون "هو أن تعيد الفكرة أو الشيء الذي بلي أو قدم أو تراكمت عليه من السمات والمظاهر ما طمس جوهره، وان تعيده إلى حالته الأولى يوم كان أول مرة، فتجدد الشيء أن تعيده (جديداً) وكذلك الفكر"[2].

وبالتالي فإن مفهوم التجديد يجب أن يرتبط، كما هو بالفعل، بمفهوم الإبداع الفكري، أي بما يسمح لمنظومة فكرية أن تستعيد فاعليتها وقدرتها على الانتاج المبدع للمعاني الجديدة أو المتجددة [3].

ويمكننا ملاحظة عالمية الدعوة عند الإمام السنوسي من حرصه على إنشاء زواياه في كل مكان قدر عليه ، فأول زاوية أنشأها كانت في الحجاز ، ثم في مصر وليبيا والجزائر والسودان الإفريقي (تشاد ومالي) . وهذه سمة مهمة وخاصية تنبه لها الإمام بسبب حياته مع القرآن الدستور العالمي، وملاحظته ضعف المسلمين في كل مكان من العالم الإسلامي.

---

[1] – سنن أبي داود، كتاب الملاحم، باب ما يذكر في قرن المائة ح رقم 3740.

[2] – الاجتهاد والتجديد في الفكر الإسلامي المعاصر، برهان غليون، مركز دراسات العالم الإسلامي، مالطا، ط1، 1991م، ص72.

[3] – مصدر سابق، ص74.

المبحث السادس :

منهج الامام محمد بن على السنوسي في التجديد.

تعد السنوسية حركة ودعوة إسلامية إصلاحية تجديدية، تعتمد في أغلب شؤونها على الكتاب والسُّنة المحمدية مع تأثرها بالتصوف، وقد ظهرت في القرن الثالث عشر الهجري على يد الشيخ الامام محمد بن على السنوسي، وكانت حركة خالية من الشركيات والخرافات كالتوسل بالأموات والصالحين، ولها منهج متكامل للارتقاء بالمسلم . فقد فصل مثلاً تدريج المريد في مراتب السلوك فقال :"يتعين على المريد أن يصحح عقيدته بميزان اعتدال أهل السنة والجماعة ".[1]

فابن السنوسي لا يؤمن الا بالصوفية الموافقة للكتاب والسنة والصوفي الحقيقي في رأيه من يتقيد بالكتاب والسنة ، وقد قال في ذلك : " فاعلم أن سبيل القوم اتباع النبي في الجليل والحقير وأعمالهم موزونة بميزان الشريعة"[2]

ويؤكد المؤرخين على إن تجربته في الصوفية قد أعطته خبرة في التعامل معها فهو لم يقبل الصوفية على إطلاقها، ولم يرفضها بالجملة، بل قيدها بالكتاب والسنة وجعل طريقته مبنية على : " متابعة السنة في الأقوال والأحوال والاشتغال بالصلاة على النبي في عموم الأوقات "[3].

والجدير بالذكر إن الحركة السنوسية من أولى الحركات التي انبعثت من دعوة التوحيد؛ وقامت بمحاربة عقائد الصوفية المنحرفة، كالاتحاد، ووحدة الوجود، والحلول وغيرها من عقائد الصوفية الفاسدة المتأثرة بالنصرانية المنحرفة، والديانة الهندية القديمة. فقد صيغت هذه الحركة على نحو جامع محرر لمفهوم الإسلام المتكامل بين الزهد والفقه والعبادة بتشكيل تربوي على نمط الصوفية، متحرراً من أخطاء الصوفية وانحرافاتهم، وبالتالي استطاعت أن تكون جيلا قادراً على نشر الإسلام في أنحاء أفريقيا، وكانت رد فعل ضخم للتحدي الذي واجه العالم الإسلامي باحتلال الفرنسيين للجزائر وعودة الحروب الصليبية.

ومن خلال النظر في منهج ابن السنوسي في التجديد نجد انه مبني على الدعوة إلى الالتزام بأحكام الإسلام الظاهرة والباطنة، وما يؤكد هذا إحدى الرسائل التي ارسلها السنوسي إلى بعض

---

[1] – السلسبيل ، الإمام السنوسي، 1990م، ص8

[2] – الحركة السنوسية ، أحمد الدجاني، 1967م.

[3] – السلسبيل ، الإمام السنوسي، 1990م ، ص7

رؤساء العشائر والتي يقول فيها: " فإنا ندعوكم بدعاية الإسلام من طاعة الله ورسوله ، قال تعالى في كتابه العزيز: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ النساء: ٥٩ ...والطاعة هي امتثال أمر الله ورسوله من إقامة الصلوات الخمس وصيام شهر رمضان وأداء زكاة الأموال وحج بيت الله الحرام واجتناب ما نهى الله عنه من الكذب، والغيبة، والنميمة، وأكل أموال الناس بالباطل، وشرب الخمر، وقتل النفس بغير حق، وشهادة الزور، وغير ذلك مما حرم الله ورسوله؛ فبذلك تنالون الخير الأبدي والربح السرمدي الذي لا يعتريه خسران ولا يحوم حول حماه حرمان. وقد طلب منا أناس من ذلك الطرق أن نبعث معهم بعض إخواننا يذكرون عباد الله ويعلموهم ما فرض الله ورسوله عليه ويهدوهم إلى سبيل الرشاد ، وعزمنا على ذلك لكون هذه الوظيفة هي التي أقامنا الله عليها: ننبه الغافل ونعلم الجاهل ونرشد الضال "[1] .

حيث أن الامام السنوسي اتبعت منهجاً خاصاً في التعامل مع غيرها من الطرق المعاصرة لها يمكن تسميته بسياسية عدم المواجهة ؛يتضح ذلك من خلال قوله في إحدى رسائله ، بعد أن سئل عن خلاف بعض الناس في عصمة الأنبياء، فأرشدهم إلى مراجعة كتب أهل العلم من علماء المسلمين كالإيجي والشريف الجرجاني والرازي والآمدي وغيرهم ، ثم قال: " إنكم تعلمون أن مادة الخصام ليس من دأبنا ، وقد علمتم أن شأننا هو امتثال قوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: (من ترك الجدال وهو مبطل بنى الله له بيتاً في الجنة ، ومن تركه وهو محق بنى الله له بيتاً في وسطها ، ومن حسن خلقه بنى الله له بيتاً في أعلاها)[2] . هذا شأن أهل الله أن يكونوا أرضاً لمن سواهم ، يحملون من الأذى حملها وينتجون خيرها ... وأما الخوض والجدال في الأمور الاعتقادية فهو الطامة الكبرى والداهية الغرى "[3].

ومن هنا يؤكد محمود عامر على إن زعماء الحركة السنوسية أتبعوا شيخهم وتميزوا" بحنكة سياسية من حيث تجنب الاصطدام مع الطرق الصوفية في ليبيا، والحجاز، ومصر، وغيرها، فبدلًا من كسب عدائهم ، عملوا على احتوائهم ، وشيئًا فشيئًا ذابت بعض الطرق في ليبيا في بوتقة الحركة

---

[1] – السنوسي الكبير ، الأشهب ،ص152 .

[2] – رواه أبو داود والترمذي واللفظ له وابن ماجه والبيهقي وقال الترمذي حديث حسن

[3] جامع الرسائل 1 ص167

السنوسية ، وبقيت الطريقة الصوفية المدنية تتمتع بنفوذ محدود لدى قسم القبائل البدوية.[1] وهذا ما يمكن أن نفسر به انتشار حركة التصوف في بلاد المغرب والحجاز وغيرها.

وهذا يؤكد على إن الحركة السنوسية لم تكن مجرد حركة صوفية خرافية، كما يعتقد البعض، وإنما هي تربية وجهاد وعلم وعمل ومصحف وفكر وحركة. انطلقت من العلم الشرعي الصحيح، فهي لا تقبل البحث في الأمور العقائدية لأن العقيدة أمر لا يسع الخلاف فيه، ولأنها متقررة ثابتة متوارثة عبر أجيال المسلمين.

والجدير بالدكر ابن السنوس نال رضى علماء المسلمين بسبب اجتهاده في الدين وعدم تقيده بمذهب من المذاهب، حيث جعل رائده العمل بالكتاب والسنة ولم يقدم عليهما اقوال العلماء والفقهاء، وبسبب دعوته المخلصة التي أثرت في قبائل ليبيا، والصحراء الكبرى وأفريقيا، والتي اصبحت فيما بعد كتائب للجهاد في سبيل الله تعالى [2]. حيث يكمن منهج محمد بن علي السنوسي في الدعوة إلى العمل بالكتاب والسنة في المجال الفقهي، ورفضه للتقليد الذي أوجبه المتأخرون وحملوا الناس عليه وأغلقوا باب الاجتهاد.

فقذ نادى ابن السنوسي بالاجتهادات التي جاء بها الأئمة الأربعة واستقر عليها عمل الأمة قروناً ودهوراً ، وإنما هو نظر واستدلال والوقوف مع الدليل وأتباعه إذا تبين لنا مخالفته للمذهب . مؤكداً امكانية أن يقع العلماء والفقهاء والقضاة في الأخطاء المخالفة للسنة، فقال: " .. فإنا لا نعتقد عصمة القوم بل نجوز عليهم الذنوب ونرجوا لهم مع ذلك أعلى الدرجات لما اختصهم الله به من الأعمال الصالحة والأحوال السنية وليسوا بأعلى درجة من الصحابة التي كانت بينهم وغيرها ويؤيد ذلك تحذير سلف الأمة من الصحابة، والتابعين، وتابعيهم ولاسيما الأئمة الأربعة ولاسيما الأئمة الأربعة من مخالفة الحديث وخصهم على وجوب العمل به مع مخالفة (رأي كائن من كان) "[3].

إذن فمنهجه في النظر يكمن في إبداء الرأي وعدم الوقوف على أقوال السابقين، واضح في كتابه المسمى بـ (إيقاظ الوسنان في العمل بالحديث والقرآن) . بل وقد طبق الإمام رأيه هذا في كتابه: بغية المقاصد في خلاصة المراصد ، حيث ذكر فيه المسائل التي خالف فيها مذهب المالكية .

---

[1] – تاريخ ليبيا المعاصر، محمود عامر، منشورات جامعة دمشق طبعة عام 1411هـ، 1991م ،ص32

[2] محمد أحمد درنيقة، السيد محمد رشيد رضا، ، مؤسسة الرسالة، دار الإيمان، طرابلس، لبنان، طبعة أولى 1406هـ،1986م .ص203

[3] ايقاظ الوسنان في العمل بالحديث والقرآن، الإمام محمد بن علي السنوسي، طبع مع المجموعة المختارة للإمام السنوسي، على نفقة محمد عبده بن غلبون وشقيقه هشام وعلي في منشستر، بريطانيا عام 1990م،ص23

والجدير بالدكر إن ابن السنوسي لم يكتفي في دعوته لفتح باب الاجتهاد ومحاربة التقليد بالقول، ولكنه قرن قوله بالعمل، حيث خالف مذهبه المالكي في عدة مسائل منها؛ رفع اليدين في الصلاة، حكم القبض، حكم السكتات الثلاث، حكم الاستعاذة، حكم البسملة للفاتحة والسور، حكم التأمين، حكم التكبير لقيام الثالثة، حكم السلام، والخروج من الصلاة، حكم القنوت، ورفع اليدين فيه حال الدعاء، حكم تطويل الصلاة، وتقصيرها المشروعين[1]. والمتطلع على كتاب الشيخ السنوسي(المسائل العشر) يرأى قوته في إقامة الحجة على ما ذهب إليه من خلال احاديث الرسول صلى الله عليه وسلم، واقوال العلماء، ويذكر ادلته التي خلف فيها المذهب الملكي.

نستنتج من ذلك إن الامام السنوسي انتهج منهجاً خاص لم ينتهج غيره من رؤوس الحركات أو الطرق الصوفية الاخرى ،وهو الطريقة الصوفية السائرة على منهج الكتاب والسنة؛ فالطريقة الصوفية السنوسية هي وسيلة للترقي بالنفس وتهذيبها ومعالجتها من شهواتها الفاسدة ، وتطويعها، وهو ما يؤكده السنوسي بقوله: " فاعلم أن سبيل القوم اتباع النبي في الجليل والحقير وأعمالهم موزونة بميزان الشريعة"[2]

فالمطلوب منا جميعاً إذن إقامة الحدود الشرعية التي خلقنا لأجله من عبودية وإتباع أفعال وأقوال نبيه صلى الله عليه وسلم، حيث يؤكد ابن السنوسي إنه إلى لا سبيل الى ذلك إلا بالدخول من باب العلم الشرعي، من حديث، وتفسير، وفقه، على الأوجه الأكمل الذي كان عليه السلف وورثه عنهم الخلف .

النتائج

- لقد تأثَّر السنوسي بالإمام أحمد بن حنبل وابن تيمية وأبي حامد الغزالي وكان ذلك التأثير واضحاً في مجال العقيدة وقد اكتسب هذا التأثر أثناء زيارته للحجاز.
- نادى السنوسي بالتصوف الخالي من الشركيات والخرافات، كالتوسل بالأموات والصالحين، و تتشدد في أمور العبادة، وتحلى بالزهد في المأكل والملبس
- دعي السنوسي إلى الاجتهاد ومحاربة التقليد، وعلى الرغم من أن السنوسيِّ مالكيُّ المذهب، إلا أنه يخالفه إن جاء الحق مع غيره.
- أكد السنوسي على الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة والابتعاد عن أسلوب العنف واستعمال القوة.

---

[1] – المسائل العشر.ص5-47

[2] – الحركة السنوسية، نشأتها ونموها في القرن التاسع عشر، أحمد الدجاني، 1967م.

- حارب السنوسي العقائد الفاسدة، ودعت إلى العقائد الصحيحة، لتجتمع القبائل والشعوب الإسلامية عليها ، كما حرصت على تحكيم كتاب الله وسنة رسوله على نفسها، ودعت غيرها بالالتزام بذلك .
- يؤكد ابن السنوسي أن الإيمان هو القضية الأولى والأساسية، لهذه الأمة، فإذا تخلف المسلمون عن غيرهم في وسائل الحياة الحرة الكريمة؛ فمرد ذلك إلى انحرافهم عن فهم الإسلام فهماً سليماً .
- استطاع ابن السنوسي أن ينشي الكثير من الزوايا في مختلف الاقطار وأن يختار لها من بين المسلمين مجموعة خيرة من العلماء، والفقهاء، والدعاة ممن اتصفوا ، بالتميز الإيماني، والتفوق الروحي، والرصيد العلمي، والزاد الثقافي، ورجاحة العقل ، وقوة الحجة، ورحابة الصدر، وسماحة النفس، وأصبحوا من أعمدة الحركة السنوسية أثناء حياته وبعد وفاته .
- أكد ابن السنوسي على الأصول التي تساهم في توحيد المجتمع ؛ كوحدة العقيدة، وتحكيم الكتاب والسنة، وصدق الانتماء إلى الإسلام، وطلب الحق والتحري في ذلك.
- انتهج ابن السنوسي منهجاً خاصاً استمده من كتاب الله وسنة رسوله الله عليه وسلم، ومن خبرته بالطرق الصوفية التي درس جلها على يد مشايخ المغرب، وانتقد أخطائها، وعمل على طريقة خاصة يسلكها اتباعه، و مريديه .
- أكد ابن السنوسي على تصحيح العقيدة بميزان أهل السنة والجماعة، عن طريق تعليم المريد ما يحتاج إليه من المسائل الفقهية على مذهب من المذاهب الأربعة، وأن يتوجه المريد إلى تزكية النفس، وتهذيب الأخلاق، وتصفية القلب.
- أن منهج ابن السنوسي في الدعوة إلى الله مستمداً من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وقد نجح في إرشاد الطرق الصوفية المنحرفة ، واستطاع أن يضمها اليه وأن يجعل منهم دعاة إلى الله تعالى .

المصادر والمراجع

1. الاجتهاد والتجديد في الفكر الإسلامي المعاصر، برهان غليون، مركز دراسات العالم الإسلامي، مالطا، ط1، 1991.
2. الإسلام في القرن العشرين، حاضره ومستقبله، عباس محمود العقاد،ط2، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان 1969م.
3. ايقاظ الوسنان في العمل بالحديث والقرآن، الإمام محمد بن علي السنوسي، طبع مع المجموعة المختارة للإمام السنوسي، على نفقة محمد عبده بن غلبون وشقيقه هشام وعلي في منشستر، ببريطانيا عام 1990م.

4- برقة العربية أمس واليوم، محمد الطيب بن أحمد ادريس الأشهب، مطبعة الهواري، شارع محمد علي بمصر.

5- تاريخ، ليبيا المعاصر، محمود عامر، منشورات جامعة دمشق طبعة عام 1411هـ/1991م.

6- الثمار الزكية للحركة السنوسية في ليبيا ،علي محمد محمد الصلابي، ،ط1، مكتبة الصحابة، الشارقة الإمارات، مكتبة التابعين، القاهرة ،2001 م.

7- الحركة السنوسية في ليبيا، (الإمام محمد السنوسي و منهجه في التأسيس التعليمي و الحركي و التربوي والدعوي والسياسي)،علي محمد محمد الصلابي، ج1،الطبعة الأولى دار البيادق ،بيروت،1999م .

8- الحركة السنوسية، نشأتها ونموها في القرن التاسع عشر، أحمد الدجاني، 1967م، الطبعة الأولى،، دار لبنان، بيروت.

9- الدرر السنية في أخبار السلالة الإدريسية، الإمام محمد بن علي السنوسي، ضمن المجموعة المختارة للإمام السنوسي، طبع في منشستر ببريطانيا1990م.

10- السلسبيل المعين في الطرائق الأربعين، الإمام محمد بن علي السنوسي، ضمن المجموعة المختارة للإمام السنوسي، طبعة منشستر عام 1990م.

11- السنوسي الكبير ،محمد الطيب بن إدريس الأشهب، الطبعة الأولى ، القاهرة بدون تاريخ.

12- السنوسية دين ودولة ،محمد فؤاد شكري، دار الفكر، بيروت1948م.

13- الفقه الإسلامي بين الأصالة والتجديد، يوسف القرضاوي، دار الصحوة للنشر، 1406 هـ.

14- الفوائد الجلية في تاريخ العائلة السنوسية الحاكمة بليبيا،عبد المالك بن عبد القادر بن علي، ج1، د ط، مطبعة دار الجزائر العربية دمشق.

15- لسان العرب، ابن منظور . طبعة دار المعارف، مصر، ج1.

16- المجتمع الليبي، عبد الجليل الطاهر، المكتبة العصرية صيدا، بيروت، طبعة عام 1969م .

17- مجموع فتاوى ابن تيمية، جمع وترتيب عبد الرحمن القاسم، بيروت، ط 1390هـ/1971م.

18- محمد أحمد درنيقة، السيد محمد رشيد رضا، ، مؤسسة الرسالة، دار الإيمان، طرابلس، لبنان، طبعة أولى 1406هـ،1986م .

19- المسائل العشر، الإمام محمد بن علي السنوسي، ضمن المجموعة المختارة للإمام السنوسي، طبع في منشستر ببريطانيا، عام 1990م على نفقة آل بن غلبون.